لان القائلين بانه كان متعبدا بشرع غيره يستدلون به ناظرين الى انه امر باتباعه
فلم ينزل عليه فيه شيء فامره بذلك بعد النبوة فدل على انه كان يالفه ويعرفه قبلها
والا فكيف يؤمر باتباع مالم يعرفه قال السراج البلقيني ولم يجئ في الاحاديث التي وقفنا
عليها كيفية تعبده عليه الصلوة والسلام لكن روى ابن اسحق وغيره انه كان
يخلو لجاورا شهرا في كل عام شهرا من السنة يتنسك فيه وكان من تنسك قريش
في الجاهلية ان يطعم الرجل من جاءه من المساكين حتى اذا انصرف صلى الله عليه
وسلم من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة انتهى والظاهر كما قاله غير واحد
ان عبادته كانت التذكر والفكر مع اكثاره للخلوة والانعزال عن الناس غير اوغيره
وهكذا النبيآء اي وعلى هذا الشأن العلي شأن الكرام فما بالك باكملهم وسيدهم
على الاطلاق ويليه في ذلك ابوه ابراهيم عليه السلام فانه اعتزل قومه وانقطع الى
الله تعالى ينتظر الفرج من مولاه فان انتظاره عبادة كما في الحديث وفي البيت من
انواع البديع ثاني اقسام التناسب وهو تشابه الاطراف بان تناسب معانيها اذ
التجانيه اخره بناسبها الف ماذكر لانها اسبب في ذلك وثالث اقسامه ايضا وهو
مناسبة اللفظ للمعنى في الرقة والسهولة او الشدة والصعوبة ومنه حديث الا
اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف اغبر ذي طمرين لو اقسم على الله لابره الا اخبركم
باهل النار كل جعظري جواظ مستكبر قال من اوصاف اهل الجنة بما يناسب حالهم
من الرقة والانكسار ومن اوصاف اهل النار بما يناسب حالهم من الشدة والغلظة

والاباء والترفع عن قبول الحق والفاظ البيت تناسب معناه في السهولة وحسن
التركيب والانقطاع عن النظير وقوله وهكذا اه تذييل وهو يتعقب الجملة باخرى
تشتمل عليها للتاكيد وهو ضربان احدهما وهو ما هنا ما خرج مخرج المثل نحو وهل نجازي
الا الكفور كما مر وَاِذَا حَلَّتِ الْهِدَايَةُ قَلْبًا ∴ نَشِطَتْ لِلْعِبَادَةِ الْاَعْضَآءُ
وانما كان هذا شأن النبيآء من الانبياء ثم صالحي امتهم لما هو المستقر المعلوم انه
اذا حلت الهداية وهي هنا بمعنى الوصول الى الحق لا الدلالة عليه فقط ومن الاول
انك لا تهدي من احببت اي لا توصله ومن الثاني واما ثمود فهديناهم اي دللناهم
ولم نوصلهم بدليل فاستحبوا العمى على الهدى اذ لو وصلوا لم يستحبوا ذلك قلبا
نشطت للعبادة الاعضآء لان القلب رئيس البدن المعول عليه في صلاحه وفساده
ومن ثمة صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح
الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب وهذا من الكلام الجامع الذي
مرت نظايره واعلم ان بين انتهاء رضاعه صلى الله عليه وسلم وما وقع له بعده
وبين مبعثه وقائع وقعت له لا بأس بالاشارة اليها باختصار وذلك ان حليمة لما
ردته لامه جده وامه كان في كلاءة الله وحفظه ينبته نباتا حسنا ويوفقه لافضل الاعمال
والاحوال كما اشار الى ذلك الناظم بقوله الف النسك اه ولما بلغ صلى الله عليه وسلم
اربع سنين وقيل اثنى عشر وشيئا وبين ذلك اقوال اضرمت امه وكانت قد
قدمت به طيبة تزور اخوال ابيه فاقامت به عندهم شهرا ومعها مملوكته ام

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)